(١١)
فلسطين.. النذير الأخير*

شيئا فشيئا تتكشف لنا حقائق التركيبة السياسية التى تحكم سير الأمور فى بلاد الشام، ونعنى ببلاد الشام مجموعة الدول الأربع التى قسموا إليها ولاية الشام العثمانية عندما جاء الأوان، وجلسوا يقسمون تركة الدولة العثمانية فى البلاد العربية، فقسموا ولاية الشام إلى أربع مصائب: سوريا ولبنان، وكانتا من نصيب فرنسا، والأردن وفلسطين وكانتا من نصيب إنجلترا، ومنذ البداية تقرر أن تكون لبنان ضيعة فرنسية يحكمها الموارنة الذين اعتبروا أنفسهم الممثلين الدائمين لفرنسا والبابوية فى الشرق المنكوب وهو الشرق الأوسط، وفلسطين..

وقد تقرر منذ البداية أن تكون إقطاعية صهيونية وحاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية بعد تبودور هيرتسل يقول بكل صراحة إنه هو الذى اختار هربرت صمويل اليهودى ليكون أول مندوب سام لبريطانيا فى فلسطين وهو يسميه «صمويلنا» وصمويلهم هذا بدأ فسلم اليهود إدارات البوليس والجمارك والأملاك الأميرية، ومن ذلك الحين أى من أوائل العشرينات بدأت المأساة التى نشهد اليوم أسوأ فصولها، والأراضى التى تبنى فيها إسرائيل اليوم مستوطناتها هى أراضى الميرى أى الأملاك الأميرية أى أرض السلطان، وبريطانيا التى حلت محل تركيا اعتبرتها أملاكا لها، وأول ما فعلته الوكالة اليهودية أيام الانتداب البريطانى هو إحصاء أرض الميرى وعمل خرائط لأراضى السلطان، وعندما قامت إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨م وضعت يدها على تلك الأراضى ودعت اليهود لإقامة المستعمرات فيها، وبعد نكبة ١٩٦٧م وضعت يدها على بقية أراضى

* نشرت هذه المقالة فى ٣٠ يناير ١٩٨٣م.

السلطان فى الضفة الغربية وغزة، وهى اليوم تبنى فيها المستوطنات بنشاط محموم تنفيذا لسياسة تهويد الأرض وقطع الصلة بين الأرض والساكنين عليها، فالأرض تصبح يهودية ويصبح العربى المسلم أو المسيحى الساكن عليها لاجئا بلا أرض أو وطن، وهو مواطن من الدرجة الثانية، أما اليهودى الساكن على أرض يهودية فهو مواطن كامل، وهو السيد وهو صاحب الدولة..

ومن الحقائق التى لا ينبغى أن تغيب عن ذهننا أن المحاولة الوحيدة لتوحيد بلاد الشام كلها تحت حكم واحد كانت أيام الحكم المصرى من سنة ١٨٣٠م إلى ١٨٤٠م، فقد ألغى إبراهيم باشا ابن محمد على تقسيم الشام إلى أربع باشويات إقطاعية، واعتمد فى ذلك على حليفة الكبير الأمير بشير الشهابى، وإبراهيم باشا هو الذى فتح أبواب الشام للحضارة الغربية فدخلت الإرساليات واتجهت رأسا إلى مشيخات الموارنة أو المورانيين فى الجبل، وبدأنا نسمع عن الموارنة كعصبية لها كيان فى بلاد الشام، وكان المصريون قد اهتموا بميناء بيروت وعمروه وفتحوه للتجارة، وقد ثارت كل عصبيات الشام على الحكم المصرى لأنه أراد إلغاء حكم العصبيات، وتخلصت منه سنة ١٨٤٠م وعادت العصبيات، واستقر الباشا التركى وهو عمر باشا النمساوى فى بيت الدين قرب بيروت، وكان مقرا للأمير بشير الشهابى (والشهابيون دروز) وازداد أمر بيروت أهمية لأن كل قنصليات الدول الأوربية تجمعت فى بيروت، وبسطت حمايتها على المسيحيين وخاصة الموارنة الكاثوليك، وجبل لبنان لم يكن قط معقلا للموارنة، إنما هم كانوا أقلية فيه، أما أهل الجبل الحقيقيون فهم الدروز. وشيخهم الكبير بشير الشهابى أمير الجبل، ورئيس كل من فيه، ومن أتباعهم من الدروز الجنبلاطيون، وهم خلفاء حسين باشا جانبولاد حليف الدولة العثمانية على سلاطين المماليك، وكان الجنبلاطيون حلفاء الشهابيين فى أيام الأمير بشير الشهابى، والموارنة كانوا أتباعهم، ونحن اليوم عندما

نقرأ أخبار الصراع بين الدروز والمسلمين وحلفائهم من ناحية والكتائبيين من ناحية أخرى فينبغى أن نفسر ذلك الصراع على أنه صراع بين سادة البلاد الأصليين وهم المسلمون وفيهم الدروز والسادة الجدد الذين نفخ فيهم الاستعمار الفرنسى وأيدهم الأمريكيون ليكونوا عملاء الغرب وأعوانه على كل أهل لبنان، لقد كانت معركة بيروت معركة المسلمين وحلفائهم مع عملاء الغرب وحلفاء المستعمرين من الموارنة ثم حلفائهم الجدد وهم الإسرائيليون، والتخريب كله كان فى غرب بيروت حيث الأغلبية مسلمون، أما بيروت الشرقية فهى بيروت الموارنة وخلطاتهم من الخواجات، هذه لم يمسها تخريب، والحزام الأخضر أى خط الحضرة الذى يبدأ عند الجامعة الأمريكية يفصل بين بيروت السادة التى لم يمسها ضرر وبيروت المغضوب عليهم وهم المسلمون، وهنا فى بيروت المغضوب عليهم يقع مخيمًا صبرًا وشاتيلا، هنا كانت المأساة التى هزت ضمير الدنيا إلا ضمير إسرائيل، وبشير الجميل ثم أخوه أمين اللذان ورثا ملك لبنان، لم يذرفا دمعة واحدة على تعساء المعسكرين لأن المذبحة كلها تخطيط سابق، وتخطئ جدا عندما تظن أن فى لبنان سعد حداد واحدا، لأنهم كلهم: الكتائبيين والصهيونيين يقفون فى نفس المعسكر، لقد قضى الصهيونيون على مقاومة المسلمين فى جنوب لبنان، وهم يقضون عليهم فى بيروت بعد أن حطموا المقاومة فى صور وصيدا، وإلى أن يقضى الصهيونيون على كل المقاومة الإسلامية يجلس المنتصرون الإسرائيليون والموارنة على مائدة المفاوضات يرسمون المستقبل وليس بينهم مسلم واحد، لأن لبنان ليس فيها مسلمون: رئيس الجمهورية ووزير الخارجية وكل المفاوضين اللبنانيين مارونيون أما أخونا شفيق الوزان فهو حالم الأختام.

وبهذه المناسبة نقول إن بيروت لم تكن قط أكبر مدينة فى لبنان، ولا عاصمة متصرفية (أى مديرية أو محافظة) من متصرفيات الشام، إنما كانت قاعدة ولاية لبنان هى صيدا، وبعد حوادث ١٨٦٠م واضطهاد

الأتراك العثمانيين لكل والطوائف المعادية لهم هربت الأقليات المسيحية إلى جبل لبنان وتدخلت الدول واضطرت الدولة العثمانية إلى تعيين متصرف أى حاكم لجبل لبنان واشترطوا أن يكون ذلك الحاكم مسيحيا فأختار السلطان العثمانى داود باشا الأرمنى سنة ١٨٦١م فجعل قاعدته فى بيروت ونزل النصارى من الجبل فى حماية قناصل الدول وأنشأوا بيروت الشرقية، وفى بيروت الشرقية، هذه أنشأت الدول مدارسها ومراكز إرسالياتها التبشيرية فتعلم المسيحيون والموارنة خاصة قبل غيرهم، ومنهم اتخذت الدول وكلاءها وكذلك موظفى القنصليات، ومع صعود قوة الغرب فى بلاد الدولة العثمانية أصبح الموارنة ممثلين لأوربا ونقلوا بعض مراكز عصبياتهم إلى بيروت والسهل، نزعت كل السلطات من المعنيين والشهابنيين والارسلانيين وهم كبار سادة لبنان وأعطيت للموارنة، واشتد أمر الموارنة فى عهد الانتداب الفرنسى الذى قرر أن يجعل من لبنان بلدا كاثوليكيا وقاعدة استعمارية فرنسية، وعندما جاء عصر الاستقلال وضع دستور لبنان على أساس السيادة المارونية، ونشأت جمهورية لبنان ائتلافا بين عصبيات الموارنة والمسيحيين الأرثوذكس وعصبيات السنة والشيعة والدروز برياسة الموارنة، ونظام لبنان السياسى هو أسوأ نظام فى عالمنا الحاضر، إنه نظام يقوم على الابارتهايد أى التفرقة العنصرية.

وطوال تاريخ الجمهورية اللبنانية كان الصراع العنيف دائرا بين العصبيات الاقطاعية، وبتأييد من الفرنسيين أنشأ بيير الجميل حزب الكتائب، وهو إلى الآن من أصغر القوى فى لبنان، وعندما تكاثر الفلسطينيون ومعظمهم مسلمون فى لبنان قرر حزب الكتائب الاستعانة بالإسرائيليين، ودارت مفاوضات سرية انتهت بدخول إسرائيل لبنان للقضاء على الفلسطينيين وكل المسلمين والدروز. وانتهت الجولة الأولى من المعركة بإخراج الفلسطينيين. وبدأت المرحلة الثانية وهى مرحلة المفاوضات بين أمين الجميل خليفة بشير الجميل خليفة بيير الجميل وممثلى مناحم

بيجين وهدفها الحقيقى القضاء على كل قوة فى لبنان إلا قوة الموارنة، بالضبط كما كان قيام إسرائيل معناه القضاء على كل قوة فى فلسطين إلا قوة الصهيونيين.

وهذا الكلام كله ضرورى لكى تفهم حقيقة الصراع فى لبنان، ولكى تعرف أيضا الموضوع الرئيسى للمفاوضات الجارية الآن فى بيروت مرة وقرية شمونا مرة أخرى، والهدف الرئيسى غير المعلن هو أن يكون هناك فى النهاية لبنان مارونى حليف لإسرائيل على كل المسلمين من أهل المنطقة..

حقيقة لابد أن أقولها لأنها حق، ولابد أن أقولها حتى لا تستمر الخديعة علينا نحن العرب المسلمين ومعنا غير المسلمين من غير الموارنة الكاثوليك..

أقول هذه الحقيقة بالصراحة الواجبة لأننى أرى معظمنا مخدوعين أو متغابين عن حقيقة الصراع الدائر على أرض الشام، والشام عندى هى بلاد الشام القديمة وتضم ما يعرف الآن بسوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وأرجو القارئ أن ينظر إلى كل الصراعات القائمة على أرض الشام على أنها معركة واحدة ذات جبهات متعددة: الجبهة الرئيسية هى أرض فلسطين بجزءيها ما تحتله إسرائيل من ١٩٤٨م أو من ١٩٦٧م، وتسير معها منذ البداية معارك أخرى على جبهات أخرى: معركة لبنان ومعركة سوريا التى يسيطر عليها بالفعل الروس، وهناك معركة رابعة هادئة الآن ولكنها ستشتعل عن قريب إنها معركة الأردن، إن الملك حسين يؤجلها ويسوف فيها ولكنه يعرف أنها قادمة، وهو يرسم خطة قتاله فيها على ما ورثه عن جده عبد الله بن الحسين، وأخشى أن يكون غائبا عن ذهنه أن طبيعة الصراع قد تغيرت وأن ما نجح به جده وما نجح به هو إلى الآن قد لا ينفعه عندما يحين الحين وتقوم القيامة ولا مفر من أن تقوم هناك القيامة.

ونترك الملك حسين فى تخطيطاته وتكتيكاته لكى ننظر فى موقفنا نحن المصريين والعرب من هذا الصراع.

لقد دخل السادات معركة الشام على أنها لعبة، وقال إن أوراق اللعبة كلها فى يد الولايات المتحدة، وهو عندما تمكن من إدخال الولايات المتحدة شريكة فى اللعبة لم يخلق موقفا جديدا بل هو لم يغير وضع الأوراق فى أيدى اللاعبين، إنما هو كشف عن جانب من الحقيقة وهى الولايات المتحدة منذ البداية ومنذ قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨م كانت شريكة فيما سماه باللعبة، وعندما انتصر فى حرب أكتوبر وكانت نصرا على إسرائيل وأمريكا معا نجح فى أن يوجد لنفسه مكانا محترما بين الحليفين: إسرائيل وأمريكا، ونتيجة لذلك فقد استطاع أن يستعيد أرض بلاده وهى مأثرة كبرى لا ينبغى أن ينساها له مصرى.

ولا شك أن السادات أثناء صراعه الدبلوماسى مع إسرائيل وأمريكا قد أدرك الحقيقة التى لاشك فيها وهى أن إسرائيل وأمريكا شىء واحد وأنه عندما كان يدعو أمريكا إلى ممارسة ضغط على إسرائيل كان يقول كلامًا لا معنى له، لأن أمريكا لا تستطيع الضغط على أمريكا، وتبين أيضًا أنه ليس أمام دولتين بل أمام سلطنة تسمى أمريكا ونيابة سلطنة تسمى إسرائيل، وأن السلطان رونالد ريجان ينفذ أغراضه متعاونا مع نائب السلطان مناحم بيجين، وبعد وفاة السادات واستمرار ما نسميه بالغزو الإسرائيلى للبنان تبين لنا أن هناك نائبا لنائب السلطان، وهذا النائب يسمى أمين الجميل، والهدف الأخير واضح، وقد بينته فيما سبق، ومادامت المفاوضات الآن تجرى بين نائب السلطان ونائب نائب السلطان فإننا لا ينبغى أن نتساءل: مالذى سيحدث؟ لأن الذى سيحدث معروف: سيكون هناك لبنان كتائبى مارونى بابوى أمريكى فرنسى وإسرائيل صهيونية، والموضوع الحقيقى للمفاوضات هو: كيف يقوم لبنان المارونى الكتائبى الحليف لإسرائيل دون أن يكتشف العرب الحقيقة ويقطعوا

علاقاتهم مع لبنان؟ وإذا أقفل العرب أبوابهم دون لبنان فماذا يبقى للبنان؟ إن لبنان منذ قام يقوم على قاعدتين: مال العرب وغباء العرب، وغباء العرب هو ثروة لبنان الكبرى.

وقد بدأ الحلف الثلاثى بين السلطان ونائب السلطان ونائب نائب السلطان بالضحك علينا بحكاية جدول الأعمال:

إسرائيل تراود لبنان الكتائبى عن نفسه وهو يتمنع وثلاثة لقاءات فى بيروت ومثلها فى قرية شمونا يكتشف العرب الحقيقة فيتصالح مناحم بيجين مع أمين الجميل، وفجأة نسمع أن تقدما قد تم، وأن الأضواء الخضراء قد ظهرت، وأنا أقول إن هذه المماطلات والمداعبات ستستمر حتى تنتهى معركة طرابلس، وطرابلس مركز من كبار مراكز المسلمين، وهى الميدان الثانى الذى فتحوه بعد أن كسبوا معركة بيروت، والغرض منها تصفية الباقية من المقاومة الإسلامية الدرزية لكى يصبح لبنان كله مستعمرة كتائبية مارونية متعاونة مع إسرائيل.

ولو لم تكن الحكومة فى سوريا نصيرية علوية لقلت إن سوريا تقوم بدور عظيم تقف فى طريق الخطط الأمريكية الإسرائيلية المارونية، ولكن النصيريين العلويين ليسوا مع الأسف الشديد منا، إنهم فى النهاية أقرب إلى الحلف الثلاثى غير المقدس، ولا يتصورن أحد أن حافظ الأسد قد حزن على مصير الجولان لأن سكان الجولان كلهم من الدروز، ومادام دروزا فليذهبوا هم وأرضهم إلى الشيطان، أما ما يعمله البعث السورى الآن فى شمال لبنان فهو أنه ينفذ تعليمات روسيا، وروسيا لا حليف لها ولا صديق، والناس عندها واحد من اثنين: عدو أو عبد تابع، ومادام حافظ الأسد لا يستطيع أن يكون عدوا فلم يبق له إلا دور العبد التابع، مثله فى ذلك مثل فيدل كاسترو الذى يرسل رجاله ليحاربوا فى أفريقيا لحساب روسيا..

وروسيا تحارب فى شمال لبنان بجنود سوريين، وهى لا تخسر هناك بل تكسب، فهى تجرب أسلحتها أمام الأسلحة الأمريكية، وقد تحطمت صواريخ سام بقواعدها، وهى تجرب الآن صواريخ أخرى، والأقمار الصناعية الأمريكية تكشف للطيران الإسرائيلى مواقع الصواريخ، وسنرى إن كانت الطائرات إسرائيلية تستطيع تحطيمها، وأظن أننى لست بحاجة إلى أن أقول إن كل ما تقوم به إسرائيل فى بلادنا يتم بالاتفاق مع أمريكا، ونائب السلطان لا يستطيع التصرف بغير ما يرضى عنه السلطان، أما ما وقع من المذابح فى مخيمى صبرا وشاتيلا فمن الممكن أن يكون قد تم باتفاق سرى بين نائب السلطان ونائب نائب السلطان، وقد غضب السلطان واستنكر وشتم، ولكنه لم يلبث أن سكت ورضى بعد أن نبه على تابعيه ألا يجاوزا أوامره، ومبادرة ريجان صدرت لتغطى على مبادرة الملك فهد، وفى بلاد السلطان ريجان لا أمر إلا للسلطان ريجان..

والذين يحققون فى مأساة صبرا وشاتيلا اليوم هم الإسرائيليون، واسحاق اوبتساق نافون يحاكم أريبل شارون، ياللعجب! ويالللضحك على الذقون! وصديقنا ياسر عرفات على عادته ضيع الفرصة، ولقد كانت مذبحة المخيمات فرصة هائلة له إذ أنها كشفت حقيقة إسرائيل، وثار الرأى العالمى ضدها، وحتى أمريكا غضبت وهددت، وكان من الممكن أن تظل المذبحة سلاحا قاطعا ينفع الفلسطينيين شهورا طويلة فى إسقاط سمعة إسرائيل ولكنهم ضيعوها ونسيها الناس، وياسر عرفات بدلا من ذلك يجرى ليتفاوض مع المستشار يرونو كرايسكى فى موضوع مبادلة سبعة من الأسرى الإسرائيليين بأسرى فلسطينيين، وهو الآن يحاول الصلح بين العرب وإنجلترا، وفى أثناء ذلك يعمل الإسرائيليون على إزالة موضوع النزاع الرئيسى – وهو موضوع الضفة الغربية – من الوجود، ومفاوضات لبنان وإسرائيل مسرحية ستستمر حتى تتم إسرائيل خطتها بتهويد الضفة

الغربية، وبشرف على المفاوضات ويوجهها مفتش أمريكى لبنانى الأصل مارونى يسمى فيليب حبيب وهو الحكم الذى يضبط توقيت المباراة.

وخطة إسرائيل هى تهويد الأرض الفلسطينية بأسرع ما تستطيع، وهى النذير الأخير الذى جعلته عنوانا لهذا المقال، وهو صرخة تنبيه صادقة لكل إخواننا العرب عساهم أن يفيقوا من موقف الذهول الذى هم فيه.

وأبدا هذا النذير بأن أقول بأنه لا خلاف بين رجال إسرائيل حول الهدف الرئيسى لبلادهم وهو القضاء التام على كل أثر لفلسطين والفلسطينيين، إنما الخلاف فى الطريقة: واحد منهم يستحى نصف حياء وهو عيزر وايزمان والثانى يستحى ربع حياء هو شيمون بيريز والثالث لا يستحى أصلا وهو مناحم بيجين، ووراء الجميع يقف رئيس الجمهورية اسحاق أو يتساق نافون الدكتور فى الدراسات الإسلامية السفردى الذى يتحدث العربية والإسبانية والعبرية ويقرأ جريدة الأهرام مثلنا كل صباح فى انتظار أن يفرغ مناحم بيجين من مهمته، ثم يتقدم ليتولى وظيفة نائب السلطان على إسرائيل يهودية الأرض والناس بلا ضفة غربية ولا غزة، ويومها سيتبين الملك حسين أن الأوراق التى يحتفظ بها ليلقى بها على مائدة اللعب عندما يجئ دوره قد فقدت كل قيمتها، وأنه قد خرج من اللعبة كلها ، وربما بدا له فى ذلك الحين أن يقضى بقية أيامه السعيدة مع زوجته الكريمة نور الحسين وأولاده الذين بلغوا العشرة فيما أظن فى أملاكه الواسعة فى فلوريدا، وهذا ربما لا يكون أسوأ مصير يمكن أن يخبئه له المستقبل، لأن معركة الأردن ستبدأ بعد معركة فلسطين..

وإسرائيل غزت لبنان لكى تمهد الطريق لنائب نائب الملك هناك ليحكم لبنان فى شىء من الهدوء، وهذه واحدة..

والثانية وهى الأهم لكى تكسب الوقت لتتم مشروعها فى التهام البقية الباقية من أرض فلسطين.

والخطة هى التوسع فى إنشاء المستوطنات بالضفة الغربية والإسراع فى ذلك على نحو يجعل كل أرض الضفة الغربية عمليا ملكا لمستوطنات يهودية، وهذا يقتضى إنشاء ٥٠ مستوطنة على الأقل قبل نهاية ١٩٨٧م، وقد كانوا ينشئون المستوطنة فى الماضى لخمسة آلاف مستوطن فخفضوا العدد إلى ٢٠٠٠، إن عدد المستعمرات الإسرائيلية فى الضفة الغربية يصل الآن إلى ٩٢ مستوطنة، ويجرى العمل الآن فى إنشاء ١٢، ويبلغ مجموع سكان المستعمرات الكاملة الآن ٢٥٠٠٠ يهودى يعيشون فى الضفة الغربية والمراد الوصول بهم إلى ١٠٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٨٧م والمستوطنات التى ستتم هذا العام ستزيد أعداد الإسرائيليين هناك إلى ٦٠,٠٠٠ مستوطن يهودى وسيسكن السكان الجدد فى ٦٠٠٠ وحدة سكنية، وهم يقدرون أن اليهود المستوطنين فى الضفة الغربية سيصل عددهم سنة ٢٠١٠ إلى ١,١٤٠,٠٠٠ يهودى فى مقابل ١,٦٠٠,٠٠٠ من العرب فى الضفة الغربية، وبذلك ينحسم الموقف وتصبح الضفة الغربية أرضا نصف سكانها يهود، وهنا يصبح من العسير جدا إجلاؤهم من الضفة الغربية، ولما كانت السلطة الحاكمة إسرائيلية، والإسرائيليون أصحاب رءوس الأموال بالإضافة إلى تفوقهم العلمى، فإن الضفة ستصبح أكثر من أرض يهودية عمليا، وهنا لا يكون هناك مجال للتحدث فيما نتحدث اليوم عنه من الحكم الذاتى..

وهذه الخطة مؤيدة من كل القادة الإسرائيليين وتؤيدها منظمة الصهيونية العالمية ورئيسها سيف بن يوسف، بل كان يؤيدها ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية الذى يتودد إلينا ويزعم أنه مختلف مع مناحم بيجين على سياسته تجاه العرب فى الضفة الغربية.

وقد كانت هذه الخطة هى الدافع الرئيسى لغزو لبنان، فإن قادة إسرائيل خلقوا باحتلال لبنان وضعا جديدا لابد من علاجه، وبالفعل شغل العرب بالمشكلة الجديدة. كانوا يحاولون تحرير فلسطين والآن عليهم أن يحرروا لبنان ثم فلسطين، والخطة مرسومة على أن يظل احتلال لبنان

قائما فى صور شتى حتى سنة ١٩٨٧م عندما يتم إنشاء الخمسين مستوطنة الإسرائيلية ويبلغ عدد الإسرائيليين فى الضفة الغربية إلى ١٠٠,٠٠٠، هنا وبعد أن يكونوا قد أحكموا قبضتهم على الضفة الغربية يمكن أن ينسحبوا بعد ذلك من معظم لبنان، وفى أثناء ذلك يكونون قد اتموا اتفاقهم مع حكومة لبنان الكتائبية، وهذه الحكومة كما قلنا راغبة فى عقد صلح بل حلف مع إسرائيل، وهنا سيتغير الوضع تماما فى بلاد الشام، وسوريا لن تستطيع تحريك أصبع، والأردن لن يفتح فمه إذا أراد السلامة.

وفى الوقت الحالى تنفق الحكومة الإسرائيلية بسخاء لا يصدق على إنشاء هذه المستوطنات، وهم يلجأون إلى كل وسيلة لإغراء الناس على شراء المساكن فى المستوطنات الجديدة، والناس يتسابقون فى شرائها لأن الفيلا التى تتكلف ١٥٠ ألف دولار تباع بمبلغ ٦٥,٠٠٠ دولار أى بأقل من نصف التكاليف، والذين يتسابقون إلى الشراء هم رجال المال والبنوك، وهم يقدرون أنهم سيستطيعون بيعها بأضعاف الثمن بعد عام أو عامين، أضف إلى ذلك أن الدولة تسلم الفيلا إلى صاحبها مقابل دفع ١٠,٠٠٠ دولار والباقى يؤجل ويقسط على سنوات..

ثم أن الحكومة تختار مواقع هذه المستوطنات على نحو يجعلها إطارات وخطوطا تقسم أرض الضفة الغربية إلى قطع صغيرة، وكل مدينة فلسطينية يقام حولها عدد من المستوطنات لتكون كالحصون والاستحكامات حولها، ومن المعروف أن الذين سيسكنون المستوطنات سيكونون جميعا مسلحين، وستكون فى كل مستوطنة قوة منظمة من المقاتلين تابعة للجيش الإسرائيلى، وأى حركة من السكان العرب المجاورين ستخمد بالقوة..

ويلخص مناحم بيجين الخطة فى أنها عملية نمو وأمتداد طبيعى لإسرائيل نفسها حتى تحتوى كل أرض الضفة، ومادامت الأراضى التى تقوم فيها المستوطنات ملكا لإسرائيل (وهى أصلا أرض أميرية سلطانية

وهى الآن بوضع اليد ملك لحكومة إسرائيل) فإن نتيجة الحركة هى أن أرض الضفة ستصبح ملكا وامتدادا طبيعيا لإسرائيل، وهنا لا نكون بحاجة حتى إلى قرار ضم الضفة لأنك لا تضم أرض وطنك بقرار، هكذا يقول مناحم بيجين.

ومن أين لإسرائيل الأموال لإنشاء هذا العدد الكبير من المستوطنات؟ ومن أين المال اللازم لإنشاء طرق معبدة تصلها كلها بالقدس أو تل أبيب أو يافا أو حيفا؟.

من الولايات المتحدة طبعًا، والولايات المتحدة التى تعارض موضوع المستوطنات فى تصريحاتها تقدم لإسرائيل المال لإنشائها، وقد خفضت الولايات المتحدة كل معوناتها الخارجية إلا لإسرائيل، فقد زادت مبالغ معوناتها، وهذا وحده يثبت لك صدق ما قلناه من أن السلطان يساعد ويؤيد نائب السلطان، وبعد قليل عندما تتقدم محادثات لبنان وإسرائيل التى يشرف على سيرها سناتور أمريكى مارونى هو فيليب حبيب ستقدم الولايات المتحدة المال أيضا إلى نائب نائب السلطان، وأنا لم استعمل هذه العبارات من باب الفكاهة بل من باب تسمية الشىء باسمه، فليس الموقف موقف فكاهة، وإنما هو موقف مصير مخيف، والذين لا يرون هذه الخطر لابد أن يذكروا أن كل أرض أسبانيا والبرتغال وهى الأندلس كانت فى يوم من الأيام عربية إسلامية، وقد ضاعت بهذه الطريقة، ومن أغرب ما سمعنا به فى تاريخ الولايات المتحدة أن مجلس الشيوخ الذى يصر دائما على تخفيض الميزانيات التى يطلبها الرؤساء خفضوا هذا العام كل بند طلبه الرئيس ريجان إلا ما طلبه لإسرائيل فقد زادوه! أليس هذا نذيرا؟..

إن التفاصيل يعرفها كل المسئولين العرب، وما كتبته أنا هنا خلاصة أو عجالة أو جزت فيها ما نشر فى خمس صحف عالمية وهى التايم والنيوزويك (وهما إسرائيليتان بالروح والاتجاه دون شك) وفوربز ما جازين والكريستيان سيانس مونيتور وفورشان..

إن الخطر هنا لا يقتصر على فلسطين ولبنان بل هو على الأردن والسعودية ذاتها، فضلا عن سوريا ومصر على المدى البعيد.

إننى أدعو كل رؤساء العرب أن يركزوا جهودهم اليوم نحو هذا الخطر، دعنا من سياسة المواقف والمحاور فهذه سياسة سبقنا إليها ملوك الطوائف فى الأندلس وكانت سببًا فى هلاكهم، ودعنا من الشكليات مثل معاقبة المستر «بم» على رفضه استقبال وفد عربى لأن فيه عضوا فلسطينيا..

دعوا ذلك كله وأذكروا جميعا قول الله تعالى فى كتابه العزيز فى الآيات الأخيرة من سورة النجم:

﴿ فبأى آلاء ربك تتمارى ۞ هذا نذير من النذر الأولى ۞ أزفت الآزفة ۞ ليس لها من دون الله كاشفة ۞ أفمن هذا الحديث تعجبون ۞ وتضحكون ولا تبكون ۞ وأنتم سامدون ۞ فاسجدوا لله واعبدوا﴾ صدق الله العظيم..